

في مؤتمر التعايش السلمي بمدينة أويل بين دينكا ملوال والمسيرية ... "كراج اليو": هل تجري الأمور علي ما يرام؟

تقرير

مثيانق شريلو*

في أواخر ديسمبر من العام الماضي تجددت الاشتباكات بين المسيرية وقوات الجيش الشعبي لتحرير السودان، سقط خلالها العديد من الجرحى والقتلى من الطرفين، وأدى هذا إلى إغلاق طريق الميرم المؤدي إلى أويل أمام حركة التجارة، ومشروع العودة الطوعية وهو ما خلق آثاراً سلبية على مدينة أويل، أفسدت روعة عيد الميلاد (الكريسما) وبالمقابل انعكس هذا أيضاً سلباً على حركة الرعاة من قبيلة المسيرية والتي ترغمها الظروف البيئية على الترحال جنوباً، حتى نهر كير (بحر العرب) في ولاية شمال بحر الغزال، لتلبي حاجات مواشيها. وتزامن اندلاع الاشتباك بعد ساعات فقط من مؤتمر صلح عقد في أويل بين قبيلتي دينكا ملوال والمسيرية. فكان أن أدى ذلك إلى ارتفاع جنوني في أسعار السلع الاستهلاكية، بحيث بلغ سعر برميل البنزين نحو ألف جنيه سوداني بمدينة واو حاضرة غرب بحر الغزال، وزاد هذا السعر بقليل في أويل.

وفي 18-20 نوفمبر، أقيم مؤتمر للتعايش السلمي بعد جهود مضيئة قام بها حاكم ولاية شمال بحر الغزال، اللواء بول ملونق أون، عبر اللجنة العليا لمؤتمر التعايش السلمي بين دينكا ملوال والمسيرية، والتي تم تكوينها برئاسة السيد الدو اجو ونائبه الخير الفهيم، والمتخصص في شؤون السلام وفض النزاعات الدكتور ضيو مطوك مقررأ، بالإضافة إلى ممثلين لكل من ولايتي شمال بحر الغزال، وجنوب كردفان، وسلاطين وأمرأ وأعيان القبيلتين، وبرعاية ودعم من قبل "منظمة المعونة الأمريكية" ومنظمة "هاد". وقد شارك في فعاليات المؤتمر وفود تمثل مجتمعات أويل — في كندا، وأستراليا، وأمريكا، وأوربا — بالإضافة إلى برلمانيين من تشريعي الجنوب، والمجلس الوطني، وجون بدانق، ممثل مفوضية السلام بحكومة الجنوب،



ووفد من منظمة سلام النرويج، وغيرهم ممن أتوا للمشاركة في المؤتمر الذي تم تأجيله ليوم 18 بدلاً من 17 نوفمبر، لظروف متعلقة بتأخر بعض المؤتمرين.

استعرض رئيس اللجنة السيد الدواجو في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر؛ واقع الصراع بين دينكا ملوال، والمسيرية بعد استقلال السودان، مشيراً إلى أن الحكومات المتعاقبة على حكم البلاد قد زادت من حدة الصراع بينهما ونزعت فتيل التعايش السلمي، وطالب أجو حزب المؤتمر الوطني بالكف عن زرع الفتنة بين القبيلتين، واعتبر اتفاقية السلام الشاملة الموقعة في نيفاشا، عام 2005، بمثابة المخرج الوحيد لحل كل صراعات ومشاكل السودان، وأن توفير الخدمات الضرورية هي واحدة من الحلول لواقع جديد وسلام حقيقي.

وأكد نائب رئيس اللجنة، الخير الفهيم، بأنهم أتوا وبكل مسؤولية وبقلب مفتوح لقلب آلام الماضي ومراراته، لخلق تعايش سلمي وبناء علاقات اجتماعية، استمرت بين القبيلتين لما يقارب 400 سنة، وأن المصالح المشتركة بينهما لم تتوقف أثناء الحرب، واستدل الفهيم بأسواق السلام في وار اوار وبينداق، وأشار أيضاً إلى وجود أراضٍ واسعة وصالحة للزراعة، وثروة حيوانية ضخمة، وموارد بشرية لا يصح صرفها في الحرب وإنما من أجل التنمية والمستقبل. وأن القبيلتين من أكثر القبائل التي فقدت الكثير من الرجال أثناء الحرب، وتتمنى خروج المؤتمر بقرارات وتوصيات وإعلام إيجابي يقوى من علاقاتنا الإنسانية.

وقال الأمير حريكة عمر عن المسيرية أن اللون العربي قد انتفى، وان الدينكا في الميرم حقوقهم السياسية والاجتماعية محفوظة، وطالب بتهيئة أجواء التعايش بالتزواج بينهما وأن حضور الحاكم بول ملونق جعلهم يتفاعلون كثيراً، مثلما كنا نأمل في انتخاب أوباما، وأردف حريكة قائلاً نحن بحاجة لأنفسنا أكثر، وأن السياسة لا تغير وضعنا كسودانيين نحترم بعضنا البعض.

ولم يذهب حاكم غرب الغزال الفريق شرطة ماك نيفوج بعيداً عن ما قاله السيد الدواجو، بان اتفاقية السلام قد وضعت حلولاً لمشاكل السودان، خصوصاً في التنمية والتعليم. ولكنه قال أن هناك جهات تروج إلى أن الجنوب يريد الانفصال. وهؤلاء ليسوا سوى تجار حرب وفتنة بين الدينكا والمسيرية، وإذا انفصل الجنوب أو اتحد سنظل إخوة وجيران.



فيما طالب ممثل حاكم ولاية واراب، السيد اندرو كواج، القبيلتين بتشجيع العوامل الثقافية المشتركة، والتصاهر الاجتماعي، والاعتراف بالحقيقة، كمدخل لخلق سلام حقيقي.

في وقت قال فيه ممثل والي جنوب كردفان ومعمد الميرم، محمد الدوريك، إنهم أتوا بدون أي توجيهات مرسلة. وطالب المؤتمرين بضرورة الوصول إلى اتفاق، يضمن التواصل الإنساني بين المسيرية والدينكا واستمرارية توفير المياه والأكل للمواشي، وإيجاد حلول من أجل التنمية المستدامة، وناشد السلطان كوال اروب دينكا نقوك بأن يفتحوا قلوبهم من أجل تعايش سلمي مع أهلهم المسيرية. واعتبر حاكم شمال بحر الغزال، اللواء بول ملونق اوان، أن هذا المؤتمر دفعه إلى قطعه للعلاج قائلاً: "روح الوطن وليس روجي" وأن هذا المؤتمر ليس من أجل الدينكا والمسيرية؛ وإنما لكل السودانين والعالم. وقال أن مهمة هذا المؤتمر هي أن تنار الأنوار في الأماكن التي تستحقها، وأن قفل الطريق ليس هو الحل. والغاية الرئيسية من هذا المؤتمر هي التسامح، داعياً إلى معالجة المشكلة من جذورها، وأن الوقت قد حان للتفكير جيداً لوضع حد لتلك الممارسات اللا أخلاقية، وأن يجعل الجميع ضمائنا تتفاوض وتتناسى آلام، وتفتح صفحة جديدة من أجل المستقبل، وأعلن ممثل "يونميس" في بحر الغزال عن استعدادهم لتقديم أي مساعدة لدعم مبادرة السلام، وأن كل التوصيات التي ستصدر ستكون البعثة طرفاً فيها من خلال الدعم اللوجستي والمعنوي.

وأعلنت لجنة المؤتمر عبر مقرها الدكتور ضيو مطوك عن تكوين خمس لجان من المؤتمرين للتناقش في خمسة محاور: التنمية، المراحل، المسارات، المراعي، ومحور خاص بالمحاكم وملف المفقودين. والملاحظ أن حلقات النقاش التي تمت كانت تدار باللغتين العربية ولغة قبيلة الدينكا للتنوع بين المجموعتين. وقد ظل ملف المفقودين أو المختطفين من أكثر الملفات التي أخذت نقاشاً حاداً بين الطرفين، وقبلها اتفقت اللجان الخمس على جملة من التوصيات كان أهمها – إنشاء وحدات مشتركة من الشرطة من أبناء القبيلتين. إلا أن هذه التوصية قد استبعدتها لجنة المؤتمر نسبة لقومية الشرطة، الأمر الذي جعل البعض يقترح بان تتولى الولايتين مسؤولية إيجاد صيغة تجعل للشرطة دوراً رئيسياً تلعبه في هذا الجانب. وتم التأمين على إنشاء محاكم مختلطة من الطرفين، وتعزيز الوحدات الأمنية في المنطقة وفتح المسارات،



وتقدم مسؤول الـDDR بشمال بحر الغزال بمقترح يجعل من مسألة جمع السلاح يتم عن طريق السلاطين أو عمد القبيلتين.

وقد كان مقرراً أن ينهي المؤتمر أعماله يوم الخميس 20 نوفمبر، إلا أن اختلاف وجهات النظر حول ملف المفقودين أو الاختطاف كاد أن يدفع بانتهاء المؤتمر بأكمله لتمسك كل طرف بموقفه، فقبيلة الدينكا رأت ضرورة عودة منظمة "سيواك" للعمل، واعتبر المسيرية أن المنظمة قد انحازت لمجموعة الدينكا، ورأى بعضهم أن يتم انعقاد مؤتمر خاص ليتناول هذا الملف، وأشار دينق طياب أكوك إلى أنه لا يوجد سلام دائم ومستقر بدون الاعتراف بالحقائق، واقترح أن يتم الأخذ في الاعتبار آراء العائلات التي تم اختطاف أفراد من أسرها، وتلك المواقف جعلت من لجنة المؤتمر تتقدم بمقترح يجعل المنظمة تباشر عملها بشرط أن تتلقى دعمها من حكومة الجنوب والوحدة الوطنية، وقال السيد محمد عثمان من المسيرية إننا لا مانع لدينا من أن يكون هنالك دعم للمنظمة من قبل الحكومتين وأن بيوتهم ستكون مفتوحة للبحث عن الأطفال والنساء المفقودين والمختطفين. وقد خرج البيان الختامي للمؤتمر بعدة توصيات أقر خلالها ممثلو الدينكا والمسيرية بجملة من الأخطاء التي وقعت، مثل اختطاف الأطفال والنساء. كما أوصى بإعادة منظمة سيواك والتزام الطرفين بالتعاون معها، وتم تحديد خط سير مراحل المسيرية قبل موسم دخولهم لأراضي الدينكا، مع تحديد فترة الدخول والخروج مع الوضع في الاعتبار؛ دخولهم بدون سلاح. وستتولى قوات الجيش الشعبي لتحرير السودان حمايتهم باعتبار أن تلك القوات قومية بعد أن يتم سحبها لحدود عام 1956، وترسيم الحدود بين الشمال والجنوب، وحماية المسارات من الحرائق، إضافة إلى تفعيل الإدارة الأهلية، وتوفير الدعم اللازم لها، بجانب العمل على رتق النسيج الاجتماعي، وتكوين محاكم مختلطة من الطرفين للفصل في القضايا وبسلطات واسعة، وإحياء ليالي ثقافية مشتركة، ووحدات بيطرية متنقلة، وتعميق مجرى النهر وإقامة السدود عليه، وتوحيد ضريبة القطعان، وإقامة مؤتمرات سنوية، وزيارات متبادلة، ومؤتمرات شبابية تشمل الجنسين، والإقرار بمشاركة المرأة، وغيرها من التوصيات. وكشفت المعونة الأمريكية عن التزامها بحفر آبار ومضخات في المسارات والمناطق الواقعة بين الطرفين، وتوفير الميزانية لها.



وقد رحبت منظمات المجتمع المدني والقوى السياسية في ولاية شمال بحر الغزال بالاتفاق، وحثت الأطراف المعنية بضرورة الالتزام بتوصياتها، كما طالبت الحكومتين بالإسراع في تشكيل آليات تنفيذها، ورغم بعض المقولات المحبطة التي أطلقها بعض السلاطين، إلا أن هنالك ثمة تفاؤل عبّرت عنه الحشود الشعبية التي حضرت المؤتمر، الأمر الذي دفع بعم عبد الجليل (المسيرية) للحديث بلغة الدينكا، قائلاً: "من الآن، دينكا ملوال، والمسيرية، كراج أليو" وتلك المفردة يمكن ترجمتها بـ "أن الأمور على ما يرام". ومع ذلك، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل ستجري الأمور علي ما يرام؟

* ميثانق شريلو يل كواج، من مواليد الخرطوم، 19 ديسمبر 1986. ناقد مسرحي وكاتب ومحرر صحفي بصحيفة أجراس الحرية. خريج شعبة النقد والدراسات المسرحية بكلية الموسيقى والدراما جامعة السودان، أغسطس 2008. حائز علي جائزة النقد من مهرجان أيام البقعة المسرحية الدورة السابعة 2007. عضو اتحاد الكتاب السودانيين.

